الإسلام والتنمية البشرية.. بناء الإنسان أولًا

الجمعة 4 سبتمبر 2026 01:30 م

لم يعد مفهوم التنمية البشـرية مرتبطًا فقط بالمؤسسات الحديثة أو الدراسات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، إذ إن جوهر هذا المفهوم، المتمثـل في تطـوير الإنسـان والارتقـاء بقـدراته وتحسـين ظروف حيـاته، حاضـر في التصـور الإسـلامي منـذ قرون طويلـة، وإن اختلفت المصطلحات والتعريفات المستخدمة في التعبير عنه.

وتقوم التنميـة البشـرية في مفهومها الحـديث على عمليـة مسـتمرة تهدف إلى تغيير حياة الإنسان نحو الأفضل، عبر تطوير قدراته ومهاراته وتحسـين البيئـة التي يعيش فيها، بما يتيـح له تلبيـة احتياجاته والمشاركة الفاعلة في المجتمع. أما في المنظور الإسـلامي، فإن هذا المفهوم يتخذ نطاقًا أوسع، فلا يقتصـر على الجانب الاقتصادي أو المهني، وإنما يشـمل الإنسان في مختلف جوانب حياته المادية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية والروحية.

الإنسان محور التنمية

ينطلق التصور الإسـلامي للتنمية البشـرية من مكانة الإنسان نفسه، باعتباره محورًا أساسـيًا في عملية البناء والإصـلاح، وليس مجرد وسيلة لزيادة الإنتاج أو تحقيق النمو الاقتصادي.

وقد كرّم الله الإنسان وميزه عن كثير من خلقه، وجعل الكون مسـخرًا له، بما يساعده على القيام بمسؤوليته في الحياة. يقول تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}، سورة الإسراء: 70.

ومن هـذا المنطلق، لا ينظر الإسـلام إلى التنميـة باعتبارها عمليـة لصـناعة الثروة فحسب، وإنما يهتم قبل ذلك بصـناعة الإنسان القادر على إنتاج الثروة والمحافظة عليها وتوظيفها في خدمة المجتمع وتحقيق الصالح العام.

وتشمل التنمية في هذا التصور تنمية شخصية الإنسان وقدراته العقلية والعلمية والمهنية والأخلاقية، إلى جانب الحفاظ على كرامته وحقوقه واحتياجاته الأساسية، بما يحقق له حياة متوازنة ويؤهله لأداء دوره في المجتمع.

عمارة الأرض مسؤولية الإنسان

ترتبط التنميـة البشـرية في التصور الإسـلامي بمفهوم عمارة الأرض، وهي مهمـة تحتاج إلى إنسان يمتلك العلم والقـدرة والمهارة والإرادة، إلى جانب القيم التي توجه استخدام هذه القدرات نحو الإصلاح لا الإفساد.

ويشير القرآن الكريم إلى هذه المسؤولية في قوله تعالى: {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}، سورة هود: 61.

وتكشف الآية عن ارتباط الإنسان بالأرض ومسؤوليته في إعمارها، وهو ما يتطلب تطوير قدراته وإمكاناته حتى يستطيع القيام بهذا الدور.

ومن هنا، فإن الاهتمام بالإنسان في الإسلام لا يأتي فقط لأنه أحد عناصر الإنتاج، وإنما لأنه صاحب رسالة ومسؤولية، ويحتاج إلى مقومات تساعده على أداء أدواره المختلفة في الحياة، سواء في الأسرة أو العمل أو المجتمع، فضلًا عن علاقته بربه.

كما يحرص التصور الإسلامي على حماية الإنسان في جوانب أساسية، من بينها النفس والعقل والنسل، بما يضمن له حياة مستقرة ويهيئ البيئة المناسبة للنمو والتقدم.

التخطيط أساس التنمية

لا يمكن أن تتحقق التنمية من دون رؤية واضحة للمستقبل، وهو ما يجعل التخطيط وحسن التدبير من العناصر المهمة في بناء الإنسان والمجتمع.

وتتطلب عملية تنمية الموارد البشرية دراسة الواقع بشكل دقيق، والتعرف إلى نقاط القوة والضعف، وتحليل المشكلات القائمة، ثم وضع الحلول المناسبة لها، إلى جانب الاستعداد للتغيرات والتحديات المستقبلية.

وقد أكد الإسلام أهمية الإعداد والتخطيط، فقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}، سورة الأنفال: 60.

ولا يقتصر مفهوم الإعداد هنا على جانب بعينه، وإنما يعكس أهمية الاستعداد وبناء القدرة ومواجهة المستقبل وفق الإمكانات المتاحة.

كما حث النبي على التخطيط للمستقبل، ومن ذلك قوله: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس». فإذا كان التخطيط لمستقبل أفراد الأسرة أمرًا مهمًا، فإن التخطيط لمستقبل المجتمعات والدول يصبح أكثر ضرورة، نظرًا لاتساع المسؤوليات وتعدد الاحتياجات.

وتحتاج خطط التنمية الناجحة كذلك إلى الاستناد إلى دراسة الواقع، وتحديد الأولويات، والاستفادة من الموارد المتاحة، مع مراجعة النتائج وتصحيح المسار عند الحاجة.

العمل طريق البناء

يمثل العمل أحد أهم المحاور التي تقوم عليها التنمية البشرية، ولذلك رفع الإسلام من شأنه وحث الإنسان على السعي والإنتاج وتحمل المسؤولية.

ويقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}، كما يقول سبحانه: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}، سورة التوبة: 105.

ولا ينظر الإسلام إلى العمل باعتباره مجرد وسيلة للحصول على المال، وإنما يمنحه قيمة أخلاقية واجتماعية، خاصة عندما يكون الإنسان مسؤولًا عن إعالة نفسه وأسرته وخدمة الآخرين.

وفي الحديث: «ما كسب الرجل كسبًا أطيب من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة».

ويرتبط العمل كذلك بالإتقان، إذ إن التنمية الحقيقية لا تقوم على مجرد زيادة عدد العاملين أو ساعات العمل، وإنما تحتاج إلى تطوير مهارات الإنسان ورفع كفاءته وقدرته على أداء مهماته بجودة.

ومن هنا يصبح التعليم والتدريب واكتساب الخبرات عناصر أساسية في التنمية، لأنها تساعد الإنسان على تحسين أدائه والتعامل مع المتغيرات التي تفرضها الحياة وسوق العمل.

الأخلاق شرط للتقدم

لا تكتمل التنمية البشرية في المنظور الإسلامي بالعلم والمهارة وحدهما، فامتلاك الإنسان للقدرة من دون وجود منظومة أخلاقية قد يؤدي إلى نتائج سلبية، خاصة إذا استخدمت المعرفة أو الموارد في الإضرار بالآخرين.

ولهذا أعطى الإسلام للأمانة مكانة كبيرة، وربط صلاح العمل بحسن أداء المسؤوليات والوفاء بالعهود.

يقول تعالى في وصف المؤمنين: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}، سورة المؤمنون: 8.

كما حذر النبي من ضياع الأمانة، فقال: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»، قيل: وكيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»، رواه البخاري.

وتوضح هذه النصوص أن بناء الإنسان لا ينفصل عن بناء ضميره، وأن الكفاءة وحدها لا تكفي لإدارة المؤسسات أو الموارد، ما لم تقترن بالمسؤولية والأمانة.

تنمية شاملة للإنسان

من أبرز ما يميز التصور الإسلامي للتنمية البشرية أنه لا يحصر تقدم الإنسان في مستوى الدخل أو حجم الثروة، بل ينظر إلى مجموعة متكاملة من الجوانب التي تؤثر في حياته.

فالإنسان يحتاج إلى العلم والعمل، لكنه يحتاج أيضًا إلى الأمن والاستقرار والأسرة السليمة والقيم الأخلاقية، وإلى بيئة اجتماعية تساعده على استثمار قدراته وتحقيق أهدافه.

وبهذا المعنى، فإن التنمية البشرية في الإسلام تقوم على مجموعة من الأسس، من بينها الاستخلاف، وتسخير موارد الكون، والتخطيط، وتحمل المسؤولية، والعمل، والإصلاح، إلى جانب تنمية المهارات والقدرات.

ويهدف هذا التصور في النهاية إلى توفير حياة أفضل للإنسان، وتحقيق احتياجاته الأساسية، وتمكينه من المشاركة في بناء مجتمعه، مع الحفاظ على التوازن بين متطلبات الحياة المادية والجوانب الأخلاقية والروحية.

تقارير

خصم 50% على مونوريل شرق النيل يكشف أزمة التسعير وضعف إقبال محدودي الدخل
الجمعة 22 مايو 2026 06:30 م

تقارير

استغاثة عاجلة لإنقاذ حياة الدكتورة شيرين شوقي المعتقلة بسجن العاشر من رمضان
الأربعاء 15 أبريل 2026 11:00 م

مقالات متعلقة

ماذا يمكن أن يعلّمنا كأس العالم عن التواضع الثقافي؟

سايكولوجي توداي || القوة الخفية للنسيان : لماذا يعدّ النسيان ضروريًا للذاكرة والتكيف النفسي؟

ما الذي يطلق عاداتنا المدمرة للذات؟

سايكولوجي توداي || خمس هدايا ترتقي بالتفكير وتعزز الحكمة والوعي الذاتي

- التكنولوجيا
- دعوة
- التنمية البشرية
- الأسرة
- ميديا

- الآخبار
- المقالات
- تقارير
- الرياضة
- تراث
- حقوق وحريات

إشترك ادخل بريدك الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر 2026 ©